جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
قسم اللغة العربية
دكتوراه اللغة العربية- لغة

قراءات في كتاب سيبويه

(علل البناء والاعراب عند سيبويه)

أ.د. نافع علوان بهلول الجبوري

المحاضرة الرابعة

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

(علل البناء والاعراب عند سيبويه)

بعد أن تحدث سيبويه عن عموم الألفاظ المبنية والمعربة بدأ يفصل ذلك ويبيّن العلة المانعة للإعراب أو علة البناء فيما ورد من الألفاظ. ففي بناء الفعل الماضي أو ما جاء على زنة(فَعَلَ) أو كل بناء من الفعل كان معناه(فَعَلَ) و(فَعِل وفَعُلَ) كذلك.

والسؤال الذي كشف علته سيبويه هو لماذا اختيرت الفتحة من بين الحركات؟ ولماذا لم يسكن آخر فعل(فَعَل). والجواب على ذلك كما بينه سيبويه هو أن(فَعَلَ): فيها مما في المضارعة(أي مضارعة اسم الفاعل) في وقوع كلاهما صفة للنكرة، تقول: هذا رجل ضاربنا وهو يساوي هذا رجلٌ يضربنا، فضلا عن ذلك فإن الفعل(فَعَلَ) يقع مع الشرط، كما يقع المضارع معه، تقول:(إن فعلَ فعلتُ)= (إن يفعلْ أفعلْ) فهو فعلٌ كما المضارعة فعل. وقد وقعت موقعها ووقعت موقع الأسماء في الوصف كما تقع المضارعة في الوصف فلم يسكنوها كما لم يسكنوا من الأسماء ما ضارع المتمكن ولا ما صير المتمكن. ومما يبنى فهو المتمكن الذي جُعل بمنزلة غير المتمكن، فهو (ابْدَأ بهذا أولُ)،(يا حكمُ)

والوقف قولهم: اضربه، أي الفعل الأمر. وهم سكنوها: لأنها لا تقع موقع الوصف أو لا يوصف بها ولا تقع موقع المضارعة؛ فبعدت عن المضارعة يعد (كم) و(إذ) من المتمكنة. وكذلك يحمل ذلك على كل فعل أو كل بناء كان معناه (افعلْ)

والفتح في الحروف التي ليست إلا لمعنى وليست بأسماء ولا أفعال

وعلى ذلك فالبناء عند سيبويه يشمل الحروف عامة ويشمل من الأسماء، أسماء الاستفهام وأسماء الأفعال، والضمائر المتصلة والمنفصلة، وأسماء الشرط، وأفعال الماضي والأمر والمضارع إن اتصل بنوني التوكيد والنسوة

وقد تحدث سيبويه عن الاسم المفرد وما يزاد عليه للدلالة على التثنية والجمع. وعدّ الانتقال من المفرد للدلالة على التثنية يحملها زيادتان (وأعلم أنك إذا ثنيت الواحد لحقته زيادتان، الأولى منهما حرف المد واللين وهو حرف الإعراب غير متحرك ولا منون، تكون في الرفع ألفا ولم تكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع الذي على حد التثنية وتكون في الجر ياءً مفتوحا ما قبلها ولم يجعلوا النصب ألفا ليكون مثله في الجمع ... وتكون الزيادة الثانية نونا كأنها عوض لما منع من الحركة والتنوين وهي النون وحركتها الكسر).

والناظر في كلامي سيبويه يتبين لديه اهتمامه بالعلة ولا سيما علة التفريق ولا سيما بين المثنى من جهة وبين الجمع من جهة أخرى فغالب ما أورده مبني على أساس ذلك

المفرد ..... المثنى ..... الجمع

مدرس ..... مدرسَانِ، ومدرسَينِ .....مدرسُون، مدرسِينَ

ف أ نِ، ف ي نِ .....ض و نَ، ك ي نَ

النون عوض عن الحركة والتنوين في الجمع المثنى، والألف والياء في المثنى حرف الإعراب، والواو والياء في الجمع حرف الإعراب.

فالمثنى هو ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه وقولهم بزيادة في آخره ليخرج(شفع) فإنها تدل على إثنين دون زيادة فليست مثنى، وقولهم: صالح للتجريد ليخرج نحو كلمة(اثنان) فإنه لا يصلح تجريدها من الألف والنون، وقولهم: صالح للعطف مثله عليه يخرج نحو(الأبوين) فإنه اسم يطلق على الأب والأم، ولكنه بعد التجريد لا يعطف مثله عليه؛ لأنك تقول: أب وأم.

وهو يرفع بالحركات الفرعية إذ يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ولذلك أطلق عليه سيبويه (حرف الإعراب)؛ لأنه هو الدال على علامة المثنى الإعرابية.

وفي هذه المسألة فلقد ذهب الكوفيون إلى أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع بمنزلة الفتحة والضم والكسرة في أنها إعراب، وإليه ذهب أبو علي قطرب محمد بن مستنير، وزعم قوم أنه مذهب سيبويه وليس بصحيح، وذهب البصريون إلى أنها حروف إعراب وذهب أبو حسن الأخفش وأبو عباس المبرد وأبو عثمان المازني إلى أنها ليست بإعراب ولا حرف في إعراب ولكنها تدل على الإعراب وذهب أبو عمر الجرمي إلى أن انقلابها هو الإعراب وحكي عن أبي إسحاق الزجاج أن التثنية والجمع مبنيان وهو خلاف الإجماع.

وقد احتج الكوفيون على أنها إعراب كالحركات أنها تتغير كتغير الحركات ألا ترى أنك تقول قام الزيدان، ورأيت الزيدين، ومررت بالزيدين، وذهب الزيدون ورأيت الزيدين ومررت بالزيدين فتتغير كتغير الحركات نحو: قام زيد رأيت زيدا مررت بزيد، فلما تغيرت كتغير الحركات دل على أنها إعراب بمنزلة الحركات ولهذا سماها سيبويه (حروف إعراب)؛ لأنها الحروف التي أعرب الاسم بها.

وقد اختلف في الألف والياء التي هي حروف إعراب عند سيبويه، إذ إن الجرمي ذهب مذهب سيبويه في ذلك، فيما ذهب أبو إسحاق، وابن الكيسان، وأبو بكر، وأبو علي، وقال أبو الحسن: إن حرف التثنية ليس بحرف إعراب ولا هو بإعراب، ولكنه دليل الإعراب، فإذا رأيت الألف علمت أن الاسم مرفوع، وإذا رأيت الياء علمت أنه منصوب أو مجرور.

وقال الفراء وأبو إسحاق الزيادي وقطرب: الألف هي إعراب، وكذلك الياء، وأقوى الآراء وأرجحها ما ذهب إليه سيبويه كما يرى الكثير من الباحثين والدارسين والعلماء.

والدليل على صحة قول سيبويه أن الألف حرف إعراب هو أن الذي أوجبت للواحد المتمكن حرف إعراب في نحو(رجل) و(فرس) هو موجود في التثنية، نحو قولك(رجلان) و(فرسان) وهو التمكن، فكما أن الواحد المتمكن المعرب يحتاج إلى حرف إعراب فكذلك الاسم المثنى إذا كان معربا متمكنا احتاج إلى حرف إعراب، وقولنا (رجلان) ونحوه معرب متمكن محتاج إلى ما احتاج إليه الواحد المتمكن من حرف الإعراب إذن: ولا يخلو حرف الإعراب من قولنا (الزيدان) و (الرجلان من أن يكون ما قبل الألف أو الألف أو ما بعد الألف وهو النون، فالذي يفسد أن تكون (الدال) من الزيدان هي حرف إعراب، وأنها كانت في الواحد حرف الإعراب في نحو: هذا زيدٌ، وقد انتقلت عن الواحد الذي هو الأصل إلى التثنية التي هي الفرع، كما انتقلت عن المذكر الذي هو الأصل في قولنا (هو قائم) إلى المؤنث الذي هو الفرع في قولك (هي قائمة).

والمتابع لكلام سيبويه في المثنى يجد أنه قد وقف على العلل المانعة للمشابهة من المثنى والجمع. إذ جعل علة التفريق حكماً لزيادة الألف في المثنى مثلا وكذا علامة الرفع فيه وكذا حركة النون بالكسر وفتح ما قبلها لكي يفرق من المثنى والجمع في النصب والجر فضلاً عن الرفع. كما أنه جعل علة العوض في وجود (النون) في المثنى، إذ إن النون جيء بها لما منع من الحركة والتنوين.

وأما الجمع عند سيبويه فلقد بين الجمع المذكر السالم والزيادات اللاحقة للمفرد لكي تتحقق الجمع فيه ((وإذا جمعت على حد التثنية لاحقتها زيادتان، الأولى منهما حرف المد واللين، والثانية نون، وحال الأولى في السكون وترك التنوين وأنها حرف الإعراب حال الأولى في التثنية إلا أنها واو مضمون ما قبلها في الرفع، وفي الجر والنصب ياء مكسور ما قبلها، ونونها مفتوحة، فرقوا بينها وبين نون الإثنين كما أن حرف اللين الذي هو حرف الإعراب مختلف فيهما وذلك قولك جاء المسلمون، ورأيت المسلمين، ومررت بالمسلمين)).

وإنما جمع المذكر سالم هو كل ما دل على أكثر من اثنين .... عند المتعاطفين، وسلم بناء مفرده عن الجمع أي سلم مفرده من التغيير بزيادة واو مضمون ما قبلها ونون على مفرده في حالة الرفع أو ياء مكسور ما قبلها ونون في حالتي النصر والجر وتكون النون مفتوحة وإن كان بعض العرب قد نطقوها مكسورة.

ويشترط في جمع المذكر السالم إن يكون علما لمذكر عاقل خاليا من تاء التأنيث والتركيب أو صفة لمذكر عاقل خالية من التاء، صالحة لدخول تاء التأنيث عليها، ولا من باب ما يستوي فيه المذكر والمؤنث، أو وصفاً على زنة أفعل التفضيل ولا من باب أفعل ومؤنثه فعلاء ولا من باب فعلان مؤنثه فعلى.

وأما جمع المؤنث السالم فإنهم قد جعلوا التاء آخره مكسورة في حال النصب والجر؛ لأنهم جعلوا التاء هي حرف الإعراب كالواو والياء والتنوين بمنزلة النون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها. فرفعوا التاء بالضمة مقابلا للواو فيما جعلوا التاء مكسورة منونة في حالة الجر والنصب ليقابل الياء في جمع المذكر السالم.

وأما حديثه عن التثنية والجمع إذا لحق الأفعال وموقفه منها فإنه عدها علامة للفاعلين ولم يجعلها حرف إعراب هاهنا ولم تكن منونة ولا تلزمها الحركة؛ لأنه يدركها الجزم والسكون.

ولم تكن الألف هنا حرف إعراب؛ لأنك لم تريد أن تثني (يفعِل) هذا البناء فتضم إليه (يفعل) آخر، ولكنه إنما ألحقته هذا علامةً للفاعلين ولم تكن منونة ولا تلزمها الحركة؛ لأنه يدركها الجزم والسكون فتكون الأولى حرف إعراب، والثانية كالتنوين، فلما كان حالها في الواحد غير حال الاسم في التثنية لم تكن بمنزلته، فجعلوا إعرابه في الرفع ثبات النون ليكون له في التثنية علامة للرفع كما كان في الواحد، إذ منع حرف الإعراب، فجعلوا النون مكسورة حالها في الاسم، ولم يجعلوها حرف إعراب، إذ كانت متحركة لا تثبت في الجزم.

وعلى ذلك فالسيرافي يرى أن الفعل لا يثنى ولا يجمع؛ لأن المثنى والمجموع هو الذي يدخل في نوع يشاركه فيه غيره فيشمل النوع على آحاد منكورين، فتضم بالتثنية واحدا من الفرع إلى آخر منه، وتضم بالجمع واحدا من الفرع إلى أكثر منه. وأن الواو والألف والياء عند سيبويه مرة تعد أسماء مضمرين ومرة حرفين دالين على التثنية والجمع. ففي قولك (الزيدان قام) فهذه الألف اسم وهي عنده ضمير الزيدين المذكورين فإذا قلت: الزيدون قاموا، فهذه الواو هي اسم وهي ضمير

الزيدين، وإذا قلت: قاما أخواك، فهذه الألف هي حرف وليست باسم دخلت علامة مؤذنة بأن الفعل لفاعلين، وكذلك إذا قلت: قاموا أخوتك، فإن الواو حرف دخلت مؤذنة بأن الفعل لجماعة.

ومما ذكره سيبويه لغة(أكلوني البراغيث) أو لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) وهي لغة قليلة لطيء، وأزد شنوءة أه.... وهي مسموعة في كثير من اللهجات العربية وسميت بذلك لأن سيبويه سمع بعض العرب يقولون(أكلوني البراغيث) فأسماها بها وفي هذا المثال شذوذ ثان، وهو أن البراغيث لا تعقل وكان الأفصح القول: أكلنني البراغيث، فصيغة المؤنث تصلح لما لا تعقل.

وفي هذه اللهجات يلحقون الفعل علامة التثنية والجمع، ولا يستبعد أن تكون هذه من بقايا اللغات السامية ومنها العبرية التي تستخدم مثل هذه في قولهم: أكلوا الضيوف. وكذلك ورد عن الأمهرية والأكدية والسريانية.

وقد عده الكثير من العلماء من اللحن، كما هو عند الحريري في (دورة الغواص: ص، ١٤٥، مادة ٩٦) فيما رد ذلك الخفاجي وعدها لغة مستعملة في كلام العرب يجعلون الألف والواو علامةً التثنية والجمع. وورد ما يؤيد هذه اللغة في كلام العرب والقرآن والحديث النبوي الشريف على توجيه واحد وهو عد (الألف والواو) علامة للتثنية والجمع لا على الفاعلية لكي لا يجمع ... إلا إذا عد ما يليها بدلاً من الضمير، ومما ورد في القرآن قوله تعالى:{ وأسر النجوى الذين ظلموا} [الأنبياء: ٣]، وفي الحديث كما ذكر ابن مالك(يتعاقبون فيكم ملائكة) [البخاري رقم ٥٥٥].

ومن الآيات التي توقف عندها العلماء كثيراً قوله تعالى:{ ثم عموا وصموا كثيرٌ) [المائدة: ٧١] وقد ورد في كلام سيبويه، وفي أكثر من موضع ما يشير إلى ذلك وجعل التعبير للخليل بقوله:(أعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، ضرباني أخواك، فشبهوا هذه بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث علامة)

ومن الشعر الذي ورد دليلا على استعمال قول الشاعر:

رأين الغواني الشيبَ لاحَ بعارضي

فأعرض عني بالخدود النواضر

أي رأت الغواني، ونسب هذا البيت في أكثر من مصدر لأبي عبد الرحمن العتبي [الأغاني: ١٤/ ، دار الفكر١٩٩]. ونسب إلى عمر بن أبي ربيعة أيضا[ديوانه: ١٩٥، دار الكتاب العربي].

ومما ورد أيضا شعرا قول قيس الرقيات:

تولى القتالَ المارقين بنفسه *** قد أسلماه مُبعَدٌ وحميمُ

ومثله:

يلومونني في اشتراء النخيل *** أهلي فكلهم يعذلُ

وكل ذلك يؤثر أكثر هذه اللغة واستعمالها ولم يرفضها النحاة، ولكن رفضوا من وجه المسألة على اجتماع الفاعلين في آن واحد، وعلى ذلك كان توجيه سيبويه ومن جاء بعده على أن الضمائر هي حروف دالة على التثنية والجمع (ولا تعرب فاعلا) ويكون الاسم الذي يليها فاعلاً للفعل، ومن أعربها فاعلا واعرب الاسم الذي يليها بدلاً فهو مقبول أيضا، ولكن من عد الضمائر فاعلا والاسم الذي يليها كذلك فقد وهم، وعُد الإعراب مرفوضا.

ومما يلحق الفعل ويدل على الجمع والمفرد المؤنث أو غيره، تقول(أنت تفعلين، ولم تفعلي ولن تفعلي)، وإن أردت الجمع المؤنث السالم في الفعل المضارع ألحقته للعلامة نونا وكانت علامة الإضمار والجمع، فيمن قال (أكلوني البراغيث) وأسكنت ما كان في الواحد حرف الإعراب كما فعلت ذلك في(فَعَلَ) حين قلت (فعلْتُ) و(فَعلْنَ)، فأسكن هذا هاهنا وبيّن علة هذه العلامة كما أسكن (فَعَل)؛ لأنه فعلٌ كما أنه فعلٌ، فهو متحرك كما أنه متحرك. فالحديث هاهنا لبناء الفعل عند اتصاله بالضمائر المتحركة إذ يسكن بعد أن كان متحركا قبل الاتصال، ثم بيّن سيبويه إذ أكمل حديثه عن بقية الصيغ من الأفعال الخمسة ولا سيما تلك التي تدل على المؤنث، وكانت الأفعال كما أشار سيبويه هي المتصل بألف الاثنين، وواو الجماعة

يكتبانِ ... تكتبانِ

يكتبونَ ... تكتبون

تكتبينَ

وكلها تعامل معاملة واحدة؛ ولذلك فهو عنده بيان ما جاء بقوله (هن يفعلن، ولن يفعلن، ولم يفعلن) أيضاً بيّن أن الفعل يبنى على الساكن أو يسكن حال اتصاله بنون النسوة وسماها (نون جمع) وقال: لا تحذف؛ لأنها علامة إضمار وجمع.